الدلالات البيانية في سورة البروج

The meanings of winds in Surat AL-Buruj

م.د. مهج غانم عبد الرزاق
Muhaj kanem abd al razaq

ملخص البحث:

سورة البروج في القرآن الكريم مكونة من اثنتين وعشرين آية ،وهي من السور المكية، تمتاز هذه السورة بأن لكل لفظة فيها دلائل بيانية مثل : لفظة: قعود ، فتنوا ، وقود ، وغيرها من الالفاظ.

كما يشير البحث الى الدلالات البيانية في سورة البروج بالاعتماد على ماجاء في كتب التفسير قديما وحديثا ويسلط الضوء على ابرز هذه الدلالات منها : القسم بالواو مع العطف ، تأكيد المدح بما يشبه الذم ، الاظهار في موضع الاضمار ، المقابلة بين عذاب الكافرين ونعيم المؤمنين ، استخدام الاسم والمصدر بدل الفعل للدلالة على الدوام والاستمرار ، مجيء ضمير الفصل واللام للتوكيد ، استخدام اسلوب البشارة ولكن بهيئة التهديد والإنذار وغيرها من الظواهر.

الكلمات المفتاحية: البروج ، مشهود ، الاخدود، فتنوا ، المؤمنين.

Summary:

Surah Al-Buruj in the Holy Qur'an consists of twenty-two verses , and it is one of the Meccan surahs. This Surah is distinguished by the fact that every word in it has clear indications, such as: the word: sitting, temptation, fuel, and other words.

The research also points to the graphic connotations in the interpretation of Surat Al-Buruj, relying on what has been stated in ancient and modern interpretation books, and sheds light on the most prominent of these connotations, including: swearing by the letter "waw" with the conjunction, emphasizing praise with what resembles condemnation, making it clear in the place of concealment, contrasting the torment of the unbelievers with the bliss of the believers, using The noun and the infinitive instead of the verb to indicate permanence and continuation, the appearance of the separate pronoun and the L for emphasis, the use of the style of good news but in the form of a threat, warning, and other phenomena.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الغفور الودود ذي العرش المجيد الفعال لما يريد ، الذي جعل قرآنه في لوح محفوظ وأعلن فيه أن بطشه شديد للطغاة والظالمين وأن عباده الصالحين لهم فوز كبير .. والصلاة والسلام على من أرسله ربه رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه آجمعين ..

أما بعد :

فشاءت إرادة الله تعالى أن يكون موضوع بحثي عن سورة البروج ، والتعرف على الدلالات البيانية المتعلقة بهذه السورة ..

أمّا المنهج الذي اتبعته في كتابة هذا البحث :

فهو على النحو الاتي:

١-عرضت هذا البحث بهيئة سؤال وجواب لزيادة الفائدة وتقريب الصورة إلى ذهن المتلقي.

٢- التزمت في هذا البحث بقواعد منهج البحث العلمي مع نسبة الآيات الى سورها وتخريج الاحاديث من مظانها .

أمّا الخطة التي اتبعتها في كتابة هذا البحث : فهي على النحو الاتي :

تضمن هذا البحث مقدمة ومبحثين وخاتمة .

أهمية البحث : يتناول البحث الدلائل البيانية في سورة البروج كما سنبينه لاحقاً من خلال جمع ما كتبه العلماء بين صفحات كتبهم .

الدراسات السابقة : ما كتبه علماء التفسير عن سورة البروج .

تضمن المبحث الأول : (التعريف بسورة البروج) المطالب الاتية :

المطلب الأول : بين يدي السورة .

المطلب الثاني : أغراض السورة ومناسبتـها

المطلب الثالث : مقاطع السورة

أمّا المبحث الثاني (الدلالات البيانية في السورة) فقد تضمن المطالب الاتية:

المطلب الأول : التمهيد بالقســـــم

المطلب الثاني : قصة أصحاب الاخـــدود

المطلب الثالث : أسباب النقمـــــــــة

المطلب الرابع : توضيح عاقبة الطغاة والمؤمنين

المطلب الخامس : تهديد الطغاة وانذارهـــــم

المطلب السادس : خاتمة الظلم والكفـــــــــر

المطلب السابع : القرآن ومكانته

أمّا الخاتمة فقد تضمنت أهم النتائج التي توصلت اليها من خلال تفسير هذه السورة .

وفي الختام أرجو من الله تعالى أن يتقبل منا هذا العمل ويجعله خالصاً لوجه الكريم .. أنه سميع مجيب .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المبحث الأول : التعريف بسورة البروج

المطلب الأول: بين يدي السورة

سورة البروج اثنتان وعشرون آية وهي مكية بلا خلاف ([1])، وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ(رضي الله عنه) "أَنَّ رَسُولَ اللَّه (ﷺ) كَانَ يَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ بِالسَّمَاءِ – يَعْنِي ذَاتِ الْبُرُوجِ – وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ " أخرجه الامام أحمد([2]) وعن جابر بن سمرة (رضي الله عنه)" أن النبي(ﷺ) كان يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ السَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَشَبَهَهَا ([3]) أخرجه الامام أحمد واللفظ له ، والدارمي([4]) وأبو داود ([5]) والترمذي وحسنه([6]) والنسائي([7]).

---

١ : ينظر: التحرير والتنوير ، «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر (تونس/ ١٩٨٤ هـ)، ج٣٠ / ٢٣٦ .

٢ : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة (١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م)، مسند أبي هريرة (ﷺ)، حديث رقم (٨٣٣٢) ، ج ١٤/ ص ٧٧ .

٣ : ينظر: المصدر نفسه ، حديث جابر بن سمرة السوائي ، حديث رقم (٢٠٩٨٢) ، ج٣٤ /ص ٤٩٧ .

٤ : مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله التميمي السمرقندي (ت: ٢٥٥هـ) تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، ط١، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية (١٤١٢ هـ / ٢٠٠٠ م) ، حديث رقم (١٣٢٧) ، ج٢/ ص ٨١٨ .

٥ : سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، دار الكتاب العربي (بيروت)،الصلاة ، باب: قدر القراءة في صلاة الظهر والعصر ، حديث (٨٠٥) ج١/ ص ٢٩٦ .

٦ : سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي (مصر / ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م)، أبواب الصلاة ، باب: ما جاء في القراءة في الظهر والعصر ، حديث رقم (٣٠٧) ج٢/ص ١١٠ .

٧ : المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي)، أبو عبد الرحمن النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية (حلب/ ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)، كتاب الافتتاح ، القراءة في الركعتين الاوليين من صلاة العصر ، حديث رقم (٩٧٩)ج ٢/ ص ١٦٦ .

المطلب الثاني: أغراض السورة ومناسبتها

من أغراض هذه السورة :

١- ضرب المثل للذين فتنوا المسلمين بمكة بأنهم مِثلُ قوم فتنوا فريقاً ممن آمن بالله فجعل لهم أخدوداً من نار لتعذيبهم؛ ليكون المثَل تثبيتاً للمسلمين وتصبيراً لهم على أذى المشركين، وتذكيرهم بما جرى على سلفهم في الإيمان من شدة التعذيب الذي لم ينلهم مثله، ولم يصدهم ذلك عن دينهم

٢- إشعار المسلمين بأن قوة الله عظيمة؛ فلابد من أن يلقى المشركون جزاء صنيعهم، ويلقى المسلمون النعيم الأبدي والنصر، والتعريض للمسلمين بكرامتهم عند الله تعالى.

٣- ضرب المثل بقوم فرعون وبثمود وكيف كانت عاقبة تكذيبهم للرسل ، فحصلت العبرة للمشركين في فتنتهم المسلمين، وفي تكذيبهم الرسول (ﷺ)

٤- التنويه بشأن القرآن وعظمته ([1]).

٥- كما أن محور السورة يتحدث عن الايمان بالغيب الذي يقتضي اختبارا وامتحانا من الله تعالى، ثم يسلط الله على المؤمنين ابتلاءً ثم بيان عاقبة الطغاة والظالمين، والعطاء المعد للمؤمنين الذين يعملون الصالحات ([2]).

مناسبة السورة مع السورة التي قبلها و التي بعدها:

قد جاء في مناسبة هذه السورة مع ما قبلها وبعدها الاتي:(سورة البروج والطارق متآخيتان فقرنتا وقدمت الأولى لطولها ، وذكرتا بعد الانشقاق للمؤاخاة في الافتتاح بذكر السماء)([3]) .

وكذلك من مناسبة سورة البروج مع سورة الطارق أن في سورة البروج جاء قوله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ** ﴾ ، وكان في ذلك تعريف العباد بأنه سبحانه لا يغيب عنه شيء، ولا يفوته هارب أردف ذلك بتفصيل يزيد إيضاح ذلك بقوله تعالى في سورة الطارق : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ [4].

١: ينظر : التحرير والتنوير، ، ج٣٠ / ص ٢٣٦ – ٢٣٧.

٢ : ينظر: الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، ط٢، دار السلام للطباعة والنشر (القاهرة / ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م)، م١١/ ص ٦٤٥٤ .

٣: أسرار ترتيب السور ، أسرار ترتيب سور القران، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : رضى فرج الهمامي ،المكتبة ،المكتبة العصرية (صيدا- بيروت / ١٤٣٢هـ / ٢٠١١ م) ،ص ١٢٦ .

٤: سورة الطارق : الآية ٤ .

ليعلم العبد أنه ليس بمهمل ولا مضيع، وهو سبحانه الغني عن كتب الحفظة وإحصائهم ، ولكن هي سنة حتى لا يبقى لأحد حجة ولا تعلق، وأقسم تعالى على ذلك تحقيقا وتاكيدا. يناسب القصد المذكور..([1])

المطلب الثالث: مقاطع السورة

مقاطع السورة : تتكون هذه السورة من المقاطع الاتية :

المقطع الأول : التمهيد بالقسم: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾

المقطع الثاني : قصة اصحاب الاخدود: ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾ .

المقطع الثالث : اسباب النقمة : ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

المقطع الرابع : توضيح العاقبة للطغاة وللمؤمنين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾.

المقطع الخامس : تهديد الطغاة وانذارهم: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾

المقطع السادس : خاتمة الظلم والكفر : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠) ﴾

المقطع السابع : ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾

هذه أهم المقاطع التي تضمنتها السورة وهي متسلسلة ومنسقة من بداية السورة الى نهايتها وسأفصل ذلك في تفسير السورة .

---

[1] : ينظر: البرهان فى تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم الغرناطي (ت: ٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (المغرب/ ١٤١٠ هـ /١٩٩٠ م)، ص ٣٦٠- ٣٦١ .

المبحث الثاني : (الدلالات البيانية في السورة)

المطلب الأول

التمهيد بالقسم

﴿والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود﴾

القسم بالواو :

القسم بالواو في القرآن بمعناه اللغوي يأتي على وجهه من التأكيد والتقرير والإعظام.

و الواو قد تأتي وقد خرجت عن أصل معناها اللغوي الأول في القسم للتعظيم، إلى معنى بلاغي، هو لفت الانظار بإثارة بالغة الى حِسَّيات مُدرَكة لا تحتمل أن تكون موضع جدل ومماراة، و توطئة إيضاحية لبيانِ معنوياتِ مُمارَى فيها، أو تقرير غيبياتِ ليست من الحسيات والمدركات([1]) .

فالله تعالى يريد القسم بأمور عظيمة فاختار السماء ببروجها ثم انتقل الى ما هو أكثر عظمة فذكر يوم القيامة ثم اشد عظمة وهو ما يحصل فيها من أمور منها الشاهد والمشهود .

البروج : لفظة البروج جاءت بعدة معانٍ : (البروج القصور، الواحد برج وبه سمى بروج النجوم لمنازلها المختصة بها، قال تعالى: ﴿ **وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ** ﴾([2]) وقال تعالى﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ ([3]) وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾([4]) يصح أن يراد بها بروج النجم ، ويكون استعمال لفظ المشيدة فيها على سبيل الاستعارة)([5]) .

وقد جاء كذلك في بيان معنى البروج الاتي : (كل ما فيه من ذكر " البروج "، فهي الكواكب إلا: {ولو كنتم في بروج مشيدة} ، فهي القصور الطوال الحصينة) ([6]).

فالبروج : تاتي بمعنى ذات النجوم ، أو القصور ،أو ذات الخلق الحسن ، أو ذات المنازل ([7]).

١: ينظر: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، د. عائشة محمد علي عبد الرحمن (ت: ١٤١٩هـ)، ط٣، دار المعارف ، ج١/ ص ٢٤٧ – ٢٤٨ .

٢ :سورة البروج : الآية ١.

٣:سورة الفرقان : من الآية ٦١ .

٤:سورة النساء : من الآية ٧٨ .

٥: المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق :صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية (دمشق بيروت/ ١٤١٢ هـ) ، ج١/ ص ٤١ .

٦ : الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب(١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م) ج٢/ ص ١٥٦ .

٧ : ينظر: الخطاب والقسم في كتاب الله الحَكَم ، د. خضر موسى محمد محمود ، ط١، عالم الكتب (بيروت / ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨ م) ، ص ٣١-٣٣.

واليوم الموعود: (وهو يوم الفصل في أحداث الدنيا، وتصفية حساب الأرض وما كان فيها. وهو الموعود الذي وعد الله بمجيئه، ووعد بالحساب والجزاء فيه وأمهل المتخاصمين والمتقاضين إليه، وهو اليوم العظيم الذي تتطلع إليه الخلائق، وتترقبه لترى كيف تصير الأمور)([1]) .

وشاهد ومشهود :

جاء في تفسير الشاهد والمشهود الاتي الشاهد والمشهود: محمد (ﷺ)، ويوم القيامة، وقيل: عيسى (عليه السلام) وأمّته، وقيل: أمّة محمد، وسائر الأمم: وقيل: يوم التروية، ويوم عرفة، ويوم الجمعة، وقيل: الحجر الأسود، والحجيج، وقيل: الأيام والليالي، وبنو آدم: وقيل: الحفظة وبنو آدم، وقيل: الأنبياء ومحمد (ﷺ) ([2]).

"وشاهد ومشهود": جاءتا نكرة للدلالة إما على كثرة الشاهد والمشهود وإما على أنه لا يكتنه وصفهما ([3]).

أمّا جواب القسم فقد قدره العلماء بعدّة أمور منها :

- محذوف.
- لتبعثن ونحوه ، يدل عليه قتل أصحاب الأخدود،
- الجواب مذكور" إن الذين فتنوا " ، أو "إن بطش ربك لشديد" .
- قيل: قتل وحذفت اللام أي لقتل ([4]).

إذن القسم بـ "السماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود" له دلائله البيانية، منها

١- افتتاح السورة بهذا القسم تشويق إلى ما يرد بعده.

٢- إشعار بأهمية المقسم عليه .

٣- لفت ألباب السامعين إلى الأمور المقسم بها؛ لأن بعضها من دلائل عظيم القدرة الإلهية المقتضية تفرد الله تعالى بالإلهية وإبطال الشريك، وبعضها مذكر بيوم البعث الموعود، ورمز إلى

---

١ : في ظلال القرآن، سيد قطب (ت: ١٣٨٥هـ)، ط١٧ ، دار الشروق (بيروت- القاهرة / ١٤١٢ هـ)، ٣٨٧٣/٦.

٢ :ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت / ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م)، ج٣/ ص ٢٣٤-٢٣٦.

٣ : ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ،أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري(ت: ٥٣٨هـ)، ط٣، دار الكتاب العربي (بيروت/ ١٤٠٧ هـ) ج٤/ ص ٧٢٩ .

٤: ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر (بيروت/ ١٤٢٠ هـ)، ج١٠ / ص ٤٤٣ .

تحقيق وقوعه، إذ القسم لا يكون إلا بشيء ثابت الوقوع وبعضها بما فيه من الإبهام يوجه أنفس السامعين إلى تطلب بيانه ([1]).

ثم يضيف سيد قطب (رحمه الله) لمساته في توضيح معاني هذه الكلمات: (وتلتقي السماء ذات البروج، واليوم الموعود، وشاهد ومشهود في إلقاء ظلال الاهتمام والاحتفال والاحتشاد والضخامة على الجو الذي يعرض فيه بعد ذلك حادث أصحاب الأخدود.. وتوزن فيه حقيقته ويصفى فيه حسابه.. وهو أكبر من مجال الأرض، وأبعد من مدى الحياة الدنيا وأجلها المحدود..)([2]).

كما أن الاسلوب المستخدم في هذه الآيات هو أسلوب الموازنة ([3])ويعدونه من البديع ([4])

المطلب الثاني: قصة اصحاب الاخدود

﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾

﴿قتل أصحاب الاخدود﴾ :

لماذا استخدم الله تعالى لفظة "قُتل ":

١- هذه اللفظة تدل على إعلان النقمة من الكافرين على أصحاب الاخدود مما دفعهم الى هذه الفعلة الشنيعة ..

٢- وهي كلمة تدل على الغضب، غضب الله على الفعلة وفاعليها.

٣- كما تدل على شناعة الذنب الذي يثير غضب الحليم، ونقمته، ووعيده بالقتل لفاعليه ([5]).

"الاخدود" : لماذا استخدم الله تعالى هنا لفظة الاخدود ؟

الاخدود تعطي عدّة معان وتصور في الجهد الذي بذله الظالمون في هذا الشق والعذاب الذي اصاب المؤمنون حتى صارت أجسامهم كأنها اخاديد من شدة التعذيب حتى زال اللحم عن الجسم ، وهذا سيكون واضحا من خلال معرفة المعنى الحقيقي للخد على النحو الاتي :

١- اخدود جمع خد وهو الشق العظيم المستطيل في الأرض كالخندق وجمعه أخاديد .

٢- ومنه الخد من خدى الانسان وهما ما اكتنفا الانف عن اليمين والشمال لمجاري الدموع والمخدة لأن الخد يوضع عليها.

---

١ : ينظر: التحرير و التنوير ، ج٣٠ /ص ٢٣٧ .

٢ : في ظلال القرآن ، ج٦ / ص ٣٨٧٣.

٣ : اسلوب الموازنة : (هي أن تكون الفاصلتان متساويتين في الوزن دون التقفية) ، علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) ، ص ٣٦٤ .

٤ : ينظر: الاعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الازرق ، ج١/ ص ١١٣- ١١٤ .

٥ : ينظر: في ظلال القرآن ، ج٦/ ص ٣٨٧٣

٣- ويقال تخدد وجه الرجل إذا صارت فيه أخاديد من جراح والخد يستعار للأرض ولغيرها كاستعارة الوجه، وتخدد اللحم زواله عن وجه الجسم، يقال خددته فتخدد ([1]).

كما أن الجملة التي بعدها : قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ، النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ، بدل الاشتمال([2])، وفائدتها الاشتمال([3]).

" النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ " : لماذا استخدم الله تعالى لفظة " ذَاتِ الْوَقُودِ " وما دلالاتها؟

١- " **الْوَقُودِ** " يطلق على الحطب المجعول للوقود وهي تدل على كمية كبيرة من الحطب فهنا يصف الكمية .

٢- ولابد للنار ذات الوقود من لهب عظيم ، فهنا يصف صفة هذه النار العظيمة .

٣- واستوقدت النار اذا ترشحت لإيقادها ، أي أن الظالمين كانوا مصممين لإيقاد هذه النار ومستمرين في ذلك .

٤- ومنها وقدة الصيف دلالة على شدة حرارة هذه النار المتقدة فهنا يصف حرّها .

٥- ويستعار لفظة وقد واتقد للحرب كاستعارة النار والاشتعال وكأن الظالمين كانوا يعلنون الحرب على الله تعالى من خلال الحرب على المؤمنين ([4]) .

إذن لفظة الوقود تشير الى نار عظيمة وضع فيها كمية هائلة من الوقود حتى صارت ذات لهب عظيم ، يضاف الى ذلك تصميم الظالمين واصرارهم على اشعال هذه النار من اجل اعلان الحرب على الله عز وجل وعلى أولياءه .

" إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ " : من دلائل هذه العبارة :

١-ويتعلق " إذ هم عليها قعود " العامل في الظرف " قُتل"، أي لعنوا وغضب الله عليهم حين قعدوا على الأخدود.

٢- وضمير "هم" عائد إلى أصحاب الأخدود؛ فإن الملك يحضر تنفيذ أمره ومعه ملأه.

---

[1] : ينظر: المفردات في غريب القران ، ص ٢٧٥ -٢٧٦ ؛ و فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، بعناية : خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر،(صَيدَا – بَيروت/ ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م) ، ج١٥ / ص ١٦٢ .

٢ : بَدلُ الاشتمال(وهو بدلُ الشَيْءِ ممّا يَشْتَمِل عليه بوجه عامّ دون أن يكون جزءاً منه)، البلاغة العربية ،عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت ١٤٢٥هـ) ، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ، ٤٦٧/١، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

٣: ينظر: شرح الكافية الشافية ، محمد بن عبد الله جمال الدين(ت: ٦٧٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، ط١،جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، ج٣/ ١٢٨٠ ؛و معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ص ٢٦٨.

٤: ينظر: المفردات في غريب القرآن ، ص ٨٧٩ .

٣- أو أريد بهم المأمورون من أعوان الملك؛ فالقعود الجلوس كني به عن الملازمة للأخدود لئلا يتهاون الذين يحشون النار بتسعيرها، و (على) للاستعلاء المجازي؛ لأنهم لا يقعدون فوق النار ولكن حولها، وإنما عبر عن القرب والمراقبة بالاستعلاء .

٤- أو يكون المراد بـ أصحاب الأخدود المؤمنين المعذبين فيه، فالقعود حقيقة و (على) للاستعلاء الحقيقي، أي قاعدون على النار بأن كانوا يحرقونهم مربوطين بهيئة القعود ؛لأن ذلك أشد تعذيبا وتمثيلا، أي بعد أن يقعدوهم في الأخاديد يوقدون النار فيها وذلك أروع وأطول تعذيبا ([1]) .

﴿ وَهُم عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾: لماذا جاء بالاسم الموصول (ما) هنا ؟

"ما يفعلون" : فيها من الإبهام الذي يفيد أن لموقدي النار ومن يباشرون بإلقاء المؤمنين فيها غلظة وقسوة في تعذيب المؤمنين وإهانتهم والتمثيل بهم، وذلك زائد على الإحراق([2]).

"بالمؤمنين شهود" : لماذا استخدم الله تعالى لفظة شهود ؟؟

١- شهود جمع شاهد وتأتي بمعنى مخبر بحق أو حاضر ومراقب؛ لأنه لا أحد يشهد على فعل نفسه .

٢- تفظيع ذلك القعود وتعظيم جرمه إذ كانوا يشاهدون تعذيب المؤمنين لا يرأفون في ذلك ولا يشمئزون ([3]).

٣-يصف حالهم بأنهم مشاهدون لهذا التعذيب الأليم، أو يشهد بعضهم لبعض عند أميرهم وملكهم بأنه لم يقصر فيما أمر به ([4]).

٤-(قيل يشهدون بما فعلوا يوم القيامة ثم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم، وقيل على بمعنى مع والتقدير وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين من الإحراق شهود لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم) ([5]).

اذن هي تقابل لفظة شاهد ومشهود في القسم لكنها اختصت بالطغاة بخلاف ما جاء في آيات القسم

١: ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١٥ / ص ١٦٥ ؛ والتحرير والتنوير ، ج٣٠ / ص ٢٤٢- ٢٤٣

٢: ينظر : التحرير والتنوير ، ج٣٠/ ص ٢٤٣ .

٣ : ينظر: المصدر نفسه ، ج٣٠/ ص ٢٤٣ .

٤ :ينظر: تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن ، محمد بن عبد الرحمن الإيجي (ت: ٩٠٥هـ) ، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت / ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م)، ج٤/ ص ٤٧٠ .

٥ : فتح البيان في مقاصد القرآن ، ج١٥ / ص ١٦٦

المطلب الثالث: اسباب النقمة

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ :

لماذا استخدم الله تعالى لفظة "نقموا "؟

١- "نقموا" أصلها من نقم : نقمتُ الشئ ونقمته إذا نكرته إما باللسان وإما بالعقوبة، قال تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾[١]،﴿ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا﴾ [٢] ، أي أن هؤلاء الظالمين قد أنكروا على المؤمنين إيمانهم باللسان وبالفعل بعقوبة القتل والحرق.

٢- والنقمة العقوبة أي أن نقمتهم من المؤمنين قد أوجبت نقمة الله تعالى عليهم كما قال تعالى : ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾[٣]، ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ [٤]، ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[٥] [٦].

﴿ **وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا**﴾ :معنى هذه الآية : أي ما أنكر الكفَّار على المؤمنين إلا أنهم آمنوا بالله ، وهذا لا ينبغي أنْ يُنْكر، وهذا الاسلوب يسمى تاكيد المدح بما يشبه الذم ، ويوجد كذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾[٧] ، وقوله: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾[٨]،فإن ظاهر الاستثناء أن ما بعده حق يقتضي يقتضي الإخراج، فلما كان صفةَ مدح تقتضي الإكرام لا الإخراج كان تأكيداً للمدح بما يشبه الذم [٩].

لماذا ذكر الله تعالى لفظة " أَنْ يُؤْمِنُوا " بصيغة المضارع ؟

---

١ :سورة التوبة :من الآية ٧٤ .

٢ :سورة المائدة : من الآية ٥٩ .

٣ :سورة الاعراف : الآية ١٦٣ .

٤ :سورة الروم : من الآية ٤٧ .

٥ :سورة الزخرف : الآية ٢٥ ؛ والمفردات في غريب القرآن ، ص ٨٢٢

٦ : ينظر: المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ) ، صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط١، ص ٨٢٢.

٧:سورة التوبة : من الآية ٧٤ .

٨:سورة الحج : من الآية ٤٠ .

٩: ينظر: معترك الاقران في اعجاز القرآن ، ص ٢٩٨.

ذكرت " أن يؤمنوا " بلفظ المضارع، ولم يقل آمنوا بلفظ الماضي؛ لأن التعذيب إنما كان على دوامهم على الإيمان، ولو كفروا في المستقبل لم يعذّبوهم، فلذلك ذكره بلفظ المستقبل، فكأنه قال: إلا أنْ يدوموا على الإيمان ([1]) .

●﴿ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾: لماذا ذكرت هذه الصفات وما دلالاتها؟

(وإجراء الصفات الثلاث على اسم الجلالة وهي: العزيز، الحميد، الذي له ملك السماوات والأرض لزيادة تقرير أن ما نقموه منهم ليس من شأنه أن ينقم بل هو حقيق بأن يمدحوا به ؛لأنهم آمنوا برب حقيق بأن يؤمن به لأجل صفاته التي تقتضي عبادته ونبذ ما عداه ؛ لأنه ينصر مواليه ويثيبهم)([2]).

***﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ : لماذا ذكر لفظ الجلالة الله ؟** (أعاد المظهر؛ للدلالة على أنَّ شمول العلم شأن الألوهية ومن لوازمها)([3]).

ولفظة" شهيد "في هذه الاية تناسب ذكرها مع لفظة شاهد ومشهود ولفظة شهود في الآيات السابقة ويكون تفسيرها كالاتي : (ولما قدم سبحانه التحذير بالشاهد والمشهود، وأن الكافرين شهود على أنفسهم، زاد في التحذير بأنه سبحانه أعظم شهيد في ذلك اليوم وغيره فهو لا يحتاج إلى غيره، ولكنه أجرى ذلك على ما نتعارفه فقال: { **وَاللَّهُ** } أي الملك الأعظم الذي له الإحاطة الكاملة {على كل شيء} أي هذا الفعل وغيره {**شَهِيد** } أي أتم شهادة لا يغيب عنه شيء أصلاً، ولا يكون شيء ولا يبقى إلا بتدبيره، ومن هو بهذه الصفات العظيمة لا يهمل أولياءه أصلاً، بل لا بد أن ينتقم لهم من أعدائه ويعليهم بعلائه..) ([4]).

وتنتهي رواية الحادث في هذه الآيات القصار، التي تملأ القلب بشحنة من الكراهية لبشاعة الفعلة وفاعليها، كذلك تنتهي رواية الحادث وقد ملأت القلب بالروعة. روعة الإيمان المستعلي على الفتنة، والعقيدة المنتصرة على الحياة، فقد كان في مكنة المؤمنين أن ينجوا بحياتهم في مقابل الهزيمة لإيمانهم. ولكن كم كانوا يخسرون هم أنفسهم في الدنيا قبل الآخرة؟ وكم كانت البشرية كلها تخسر؟

١: ينظر: المفردات في غريب القرآن، ج٢/ ص ٤٦٤ .

٢: التحرير والتنوير ، ج٣٠ / ٢٤٤.

٣ : غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني ،أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني (ت: ٨٩٣هـ) تحقيق: محمد مصطفي كوكصو ، جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية(تركيا/ ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م) ج١/ ٣٦٥.

٤: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي(ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي(القاهرة)، ج٢١/ ٣٥٩.

كم كانوا يخسرون وهم يقتلون هذا المعنى الكبير: معنى زهادة الحياة بلا عقيدة، وبشاعتها بلا حرية، وانحطاطها حين يسيطر الطغاة على الأرواح بعد سيطرتهم على الأجساد! ([1]) .

المطلب الرابع: توضيح العاقبة للطغاة وللمؤمنين

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾

استخدم الله تعالى لفظة" فَتَنُوا " في هذه السورة والمراد منها ؟

١- **"** فَتَنُوا" من الافعال التي تكون من الله تعالى ومن العبد ، فمتى كانت من الله تعالى كانت على وجه الحكمة ، ومتى كانت من الانسان بغير أمر الله يكون بضد ذلك.

٢- الفتنة في الاصل تدل على إدخال الذهب في النار لتظهر جودته من رداءته .

٣- جاءت الفتنة في القرآن الكريم بمعنى العذاب من الله للكافرين والظالمين كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ ([2])، ﴿ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ ﴾ ([3]) أي عذابكم .

٤- ولهذا يذم الله الانسان بأنواع الفتنة في كل القرآن نحو قوله:﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ ([4])، ﴿ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴾ ([5])أي بمضلين وقوله:﴿ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾([6]) .

٥- ﴿ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ ([7]) ([8]) .

ومما تقدم نتبين أن استخدام لفظة " فَتَنُوا " لها دلائل بيانية منها :

– إنَ الفتنة التي أصابت المؤمنين كانت من الله تعالى لحكمة يعلمها ، وكانت من الذين ظلموا لاستحقاق غضب الله تعالى عليهم ، فجعلت هذه الفتنة ؛ لتظهر جودة المؤمنين ورداءة الظالمين كما هو الحال في الذهب عندما يفتن في النار .

– كما أن الظالمين قد فتنوا المؤمنين بالعذاب فالله يوم القيامة سيعقابهم بمثل صنيعهم ويفتنهم على نار جهنم .

---

١ : ينظر في ظلال القرآن ، ج٦/ ص ٣٨٧٤

٢ : سورة الذاريات : الآية ١٣ .

٣ :سورة الذاريات :من الآية ١٤ .

٤ :سورة البقرة : من الآية ١٩١ .

٥ :سورة الصافات : الآية ١٦٢ .

٦ :سورة القلم : الآية ٦ .

٧ :سورة المائدة : من الآية ٤٩ ؛ وينظر: المفردات في غريب القران ، ص ٦٢٤ – ٦٢٥ .

٨ : ينظر: المفردات في غريب القرآن ، ص ٦٢٣ – ٦٢٤ .

– والفتن التي أصابت المؤمنين لم تقتصر على الاحراق فقط، وإنما كانت بالإضلال والخداع والاحراق وكل ما وسيلة موصولة لإخراج المؤمنين عن دينهم ، وهذا يتضح من معاني الفتنة التي وردت في القرآن الكريم .

– " **ثم لم يتوبوا** " : نستدل من هذه العبارة أن الله تعالى قصد بـ "الذين فتنوا المؤمنين" الظالمين من أصحاب الاخدود فتكون الفتنة بمعنى الاحراق وكفار قريش وكل من أبتلى المؤمنين والمؤمنات بعذاب أو أذى فتكون الفتنة بمعنى العذاب؛ لأن الظالمين من اصحاب الاخدود لم يتوبوا ([1]).

" فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ " :

("ولهم عذاب الحريق" عطف في معنى التوكيد اللفظي لجملة: "لهم عذاب جهنم" واقترانها بواو العطف للمبالغة في التأكيد بإيهام أن من يريد زيادة تهديدهم بوعيد آخر فلا يوجد أعظم من الوعيد الأول. مع ما بين عذاب جهنم وعذاب الحريق من اختلاف في المدلول وإن كان مآل المدلولين واحدا. وهذا ضرب من المغايرة يحسن عطف التأكيد)[2].

إنَّ الذين حرّقوا المؤمنين بالنار، من أصحاب الأخدود وغيرهم ، ثم ماتوا على الكفر، ولم يتوبوا من قبيح صنيعهم، فلهم في الآخرة عذاب جهنم المخزي لكفرهم، ولهم عذاب الحريق ، وعذاب جهنم وعذاب الحريق إما متلازمان، والغرض من الثاني التأكيد، وإما مختلفان في الدركة: الأول لكفرهم، والثاني لأنهم فتنوا أهل الإيمان. وقيل: الأول في الآخرة، والثاني في الدنيا، أو أن الأول عذاب ببرد جهنم وزمهريرها، والثاني عذاب بحرّها)[3].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾:

(جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) : (أي تحت أسرتها وغرفها وجميع أماكنها (الأنهار) يتلذذون ببردها في نظير ذلك الحر الذي صبروا عليه في الدنيا) ([4]) .

لماذا جاءت فاء السببية في جزاء الظالمين دون جزاء المؤمنين؟؟ :(مجيء الفاء السببية هنا فيها إشارة إلى إستحقاقهم العذاب بسبب فتنتهم المؤمنين وسوء أعمالهم ، أمَا العدول الى حذفها

---

١ :ينظر: البحر المحيط ، ج١٠ / ص ٤٤٥ ؛و معترك الاقران في إعجاز القرآن ج٣/ ١٢٢ – ١٢٣ .

٢ : التحرير والتنوير ، ٣٠/ ٢٤٦ .

٣ : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د وهبة بن مصطفى الزحيلي ، ط٢ ، دار الفكر المعاصر – دمشق ، ١٤١٨ هـ، ٣٠ / ١٦٣ .

٤ : فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ١٥/ ص ١٦٨ .

في حق المؤمنين بقوله (لهم جنات تجري) فالدلالة على أن دخول الجنة بمحض التفضل من المولى عزوجل وليست مستحقة وجوبا بعملهم الصالح)([1])

ذلك الفوز الكبير: لماذا ذكر الله تعالى لفظة " ذلك "؟

ذكر الله تعالى لفظة ذلك للدلالة على الأمر العالي الدرجة العظيم البركة ([2]).

كما أن الله تعالى ذكر لفظة" ذلك " ولم يقل تلك لدقيقة لطيفة ذكرها الرازي في تفسيره وهي :(أنَّ قوله: ذلك إشارة إلى إخبار الله تعالى بحصول هذه الجنات، وقوله: تلك إشارة إلى الجنات وإخبار الله تعالى عن ذلك يدل على كونه راضيا والفوز الكبير هو رضا الله لا حصول الجنة.

و قصة أصحاب الأخدود ولا سيما هذه الآية تدل على أن المكره على الكفر بالإهلاك العظيم الأولى له أن يصبر على ما خوف منه، وأن إظهار كلمة الكفر كالرخصة في ذلك) ([3]) .

ما دلائل لفظة "الفوز" ؟

الفوز معناه الظفر بالخير مع حصول السلامة ، وقد يكون الشيء سببا للهلاك ويكون في الوقت نفسه سببا للفوز، فإن يكن فوز بمعنى هلك صحيحا فذلك راجع إلى الفوز تصورا لمن مات بأنه نجا من حبالة الدنيا، فالموت وإن كان من وجه هلكا فمن وجه فوز ولذلك قيل ما أحد إلا والموت خير له، هذا إذا اعتبر بحال الدنيا، فأما إذا اعتبر بحال الاخرة فيما يصل إليه من النعيم فهو الفوز الكبير ([4]) أي إنَ الذين أحرقوا في الاخدود كان نصيبهم الهلاك فيما يراه الناظر ولكن في الحقيقة هو الخير والسلامة في الدنيا بإراحتهم من الذين ظلموا وفتنتهم ، والفوز الكبير في الاخرة بأن ادخلهم جنات تجري من تحتها الانهار.

وبعد استقراء لفظ الفوز في القرآن الكريم وجدت أنها جاءت في القرآن الكريم في ستة عشر موضعاً : اثنان منها مقترن بلفظ المبين ، وثلاثة عشر موضع مقترن بلفظ العظيم ، وموضع واحد مقترن بالكبير .

---

١ : الاعجاز البياني في العدول النحوي السياقي في القرآن الكريم ، عبد الله علي الهتار ، دار الكتاب الثقافي (إربد / ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨ م)، ص ١٩٠ – ١٩١ .

٢ : ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ج٢١/ ص ٣٦٠ .

٣: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)،أبو عبد الله الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، ط٣، دار إحياء التراث العربي (بيروت/ ١٤٢٠ هـ)، ج ٣١ / ص ١١٣.

٤: ينظر: المفردات في غريب القرآن ،ص ٦٤٧ (فوز).

وأعلى أوصاف الفوز هو الفوز العظيم؛ لأنه يقترن بالخلود في الجنات ورضا الله تعالى ثم يليه الفوز الكبير بالحصول على الجنات التي تجري من تحتها الانهار ثم يليه المبين الذي يقترن بصرف العذاب أو ذكر الرحمة ([1]).

قَوْله {**ذَلِك الْفَوْز الْكَبِير**} ذَلِك مُبْتَدأ والفوز خَبره وَالْكَبِير صفته وَلَيْسَ فِي الْقُرْآن نَظِير([2]).

أمّا لفظة "الكبير" فقد جاءت في القرآن الكريم مقترنة مع جزاء الجنات في موضعين :

-﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ"﴾ ([3]).

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ، إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾([4]).

أي إنَ لفظة "الكبير" جاءت مقترنة: بوصف الجنات والنعيم للذين آمنوا ، مقارنة بعذاب الظالمين والكافرين.

المطلب الخامس

تهديد الطغاة وانذارهم

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾

" إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ " : (اعتراضا بالبشارة في خلال الإنذار لترغيب المنذرين في الإيمان، ولتثبيت المؤمنين على ما يلاقونه من أذى المشركين على عادة القرآن في إرداف الإرهاب بالترغيب)([5]) .

كما جاء عن سيد قطب في توضيح دلائل هذه الآية الاتي؟ :

(«إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ» .. وإظهار حقيقة البطش وشدته في هذا الموضع هو الذي يناسب ما مر في الحادث من مظهر البطش الصغير الهزيل الذي يحسبه أصحابه ويحسبه الناس في الأرض كبيرا شديدا، فالبطش الشديد هو بطش الجبار، الذي له ملك السماوات والأرض، لا بطش

١:ينظر: اسئلة بيانية في القرآن الكريم ، د. فاضل صالح السامرائي ، ط١، دار ابن كثير (دمشق – بيروت / ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١م)، ص١٢٣ – ١٢٤ .

٢:البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت: نحو ٥٠٥هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا ، دار الفضيلة، ص ٢٤٨ .

٣ : سورة الشورى : الآية ٢٢ .

٤ : سورة البروج : الآية ١١ .

٥ : التحرير والتنوير ، ج٣٠ / ص ٢٤٧ .

الضعاف المهازيل الذين يتسلطون على رقعة من الأرض محدودة، في رقعة من الزمان محدودة.. ويظهر التعبير العلاقة بين المخاطب- وهو الرسول (ﷺ) والقائل وهو الله عز وجل.

وهو يقول له: «إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ..» ربك الذي تنتسب إلى ربوبيته، وسندك الذي تركن إلى معونته.. ولهذه النسبة قيمتها في هذا المجال الذي يبطش فيه الفجار بالمؤمنين!)([1])، في قوله تعالى :«إنّ بطش ربك لشديد» جاء الكلام بهيئة الخبر الإنكاري وهو تأكيد الكلام وجوبا للمنكر، وقد أكد الكلام بإنَّ واللام ([2]).

(إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ) ، لماذا جاء الله تعالى بهذه العبارة ؟ هذه العبارة تعطي عدّة معاني منها :

١- يخلق الخلق أولاً في الدنيا ويعيدهم أحياء بعد الموت .

٢- يُبدىء للكفار عذاب الحريق في الدنيا ثم يعيده لهم في الآخرة.

٣- يُبدىء العذاب ويعيده .

٤- ومن كان قادراً على الإيجاد والإعادة إذا بطش كان بطشه في غاية الشدة، وبهذا ظهر التعليل بهذه الجملة لما سبق من شدة البطش ([3]).

وجاء في معناها ايضا : (إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ.. والبدء والإعادة وإن اتجه معناهما الكلي إلى النشأة الأولى والنشأة الآخرة.. إلا أنهما حدثان دائبان في كل لحظة من ليل أو نهار. ففي كل لحظة بدء وإنشاء، وفي كل لحظة إعادة لما بلي ومات، والكون كله في تجدد مستمر.. وفي بلى مستمر.. وفي ظل هذه الحركة الدائبة الشاملة من البدء والإعادة يبدو حادث الأخدود ونتائجه الظاهرة مسألة عابرة في واقع الأمر وحقيقة التقدير، فهو بدء لإعادة أو إعادة لبدء، في هذه الحركة الدائبة الدائرة..)([4]).

ضمير" هو " الفصل في قوله تعالى : ضمير بصيغة المرفوع مطابق لما قبله، تكلّما وخطاباً وغيبة، إفرادا وغيره، وجوَّز الجرجاني وقوعَه قبل مضارع، وجعل منه: (إنّه هو يبْدِئُ ويعِيد) .

ولا محلّ لضمير الفصل من الإعراب.

وله ثلاث فوائد: الإعلام بأنّ ما بعده خبر لا تابع.

---

١ :في ظلال القرآن ،ج٣٠/ص٣٨٧٥

٢:ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش(ت : ١٤٠٣هـ)، ط٤، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص،(دار اليمامة – دمشق – بيروت) ،(دار ابن كثير – دمشق – بيروت) (١٤١٥ هـ)، ج١٠ / ص ٤٣٦ .

٣:ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن ج ١٥/ ص١٦٨.

٤:في ظلال القران ، ج٦/ ص ٣٨٧٥ .

والتأكيد، ولهذا سماه الكوفيون دعامة، لأنه يدْعَم به الكلام، أي يَقْوَى ،ويؤكد الاختصاص. وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دونَ غيره ([1]).

« وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ » الحكمة من ذكر هذه العبارة :

١- المغفرة تتصل بقوله من قبل: «ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا» فهي من الرحمة والفضل الفائض بلا حدود ولا قيود، وهي الباب المفتوح الذي لا يغلق في وجه عائد تائب، ولو عظم الذنب وكبرت المعصية.

٢- أمّا الود فيتصل بموقف المؤمنين، الذين اختاروا ربهم على كل شيء، وهو الإيناس اللطيف الحلو الكريم، حين يرفع الله عباده الذين يؤثرونه ويحبونه إلى مرتبة، يتحرج القلم من وصفها لولا أن فضل الله يجود بها.. مرتبة الصداقة.. الصداقة بين الرب والعبد.. الودود لعباده الذين يختارونه على كل شيء، والود هنا هو البلسم المريح لمثل تلك الجروح ([2]) .

﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴾: وصف الله تعالى العرش بذلك لسعة فيضه وكثرة جوده، وقرئ (المجيد) بالكسر[3] فلجلالته وعظم قدره، والتمجيد من العبد لله بالقول وذكر الصفات الحسنة، ومن الله للعبد بإعطائه الفضل ([4]).

﴿فَعّال لِمَا يريد ﴾ اللام في "لما " للتاكيد وهي الزائدة أو المقوية للعامل الضعيف لفرعية أو تأخير ([5]) .

لماذا ذكر الله تعالى عبارة "فعال لما يريد " ؟

"فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ" تعني أن الله تعالى مطلق الإرادة، يختار ما يشاء ويفعل ما يريده ويختاره، دائما أبدا، فتلك صفته سبحانه، يريد مرة أن ينتصر المؤمنون به في هذه الأرض لحكمة يريدها، ويريد مرة أن ينتصر الإيمان على الفتنة وتذهب الأجسام الفانية لحكمة يريدها.. ويريد مرة أن يأخذ الجبارين في الأرض، ويريد مرة أن يمهلهم لليوم الموعود. . . فهذا طرف من فعله لما يريد. يناسب الحادث ويناسب ما سيأتي من حديث فرعون وثمود ([6]).

المطلب السادس: خاتمة الظلم والكفر

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠) ﴾

---

١ :ينظر: معترك الاقران في اعجاز القرآن ، ج٣/ ٤٦٧ .

٢: في ظلال القرآن ، ج٦/ص ٣٨٧٢ ، ص ٣٨٧٥ .

٣ : ينظر: السبعة في القراءات ، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت: ٣٢٤هـ) ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف – مصر ، ط٢ ، (١٤٠٠هـ) ، ص ٦٧٨ .

٤: ينظر: المفردات في غريب القرآن ، ص ٧٦١ .

٥: ينظر: معترك الاقران في اعجاز القرآن ، ج٢/ ص ٢٨٥ .

٦: ينظر: في ظلال القرآن ، ج٦/ ص٣٨٧٥ .

﴿هل اتاك حديث الجنود ﴾ :

"هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ: فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ " سبب اطلاق لفظ الجنود ؟

أطلق الله تعالى لفظ الجنود إشارة إلى قوتهم واستعدادهم..([1]).

﴿هل أتاك حديثُ الجنود ﴾ ما المقصود بالاستفهام هنا ؟؟

(هو استفهام تشويق مقرر لشدّة بطشه تعالى بالظَلَمة العصاة ، والكفرة العتاة، وكونه فعال لما يُريد مع تسليته(ﷺ) بأنه سيصيب قومه (ﷺ) ما أصاب تلك الجنود)([2]).

لماذا أقتصر الله تعالى على ذكر هاتين الطائفتين: فرعون وثمود ؟

١- اقتصر على ذكر فرعون وثمود لاشتهار أمرهما عند أهل الكتاب، وعند مشركي العرب ودل بهما على أمثالهما، ثم أضرب عن ذكر الكفار الموجودين في عصره (ﷺ) إضراباً انتقاليا لمن تقدم ذكرهم وبين أنهم أشد منهم في الكفر والتكذيب ([3])

٢- إنه تعالى لما بين حال أصحاب الأخدود في تأذي المؤمنين بالكفار، بين أن الذين كانوا قبلهم كانوا أيضا كذلك، وذكر من المتأخرين فرعون، ومن المتقدمين ثمود، والمقصود بيان أن حال المؤمنين مع الكفار في جميع الأزمنة مستمرة على هذا النهج ([4]).

٣-المراد من الجنود : فرعون وملأه، وضمّ ثمود إليه دون غيرهم؛ لقرب بلادهم، ورعاية للفاصلة[5]. والمعنى: قد أحطت علماً بتكذيبهم، وما حاق بهم؛ تسلية للرسول (ﷺ) وتهديد لقومه ([6]).

٤- فرعون وثمود نموذجان لفعل الإرادة، وتوجه المشيئة. وصورتان من صور الدعوة إلى الله واحتمالاتها المتوقعة، إلى جانب الاحتمال الثالث الذي وقع في حادث الأخدود.. وكلها يعرضها القرآن للقلة المؤمنة في مكة، ولكل جيل من أجيال المؤمنين ([7]) .

١: ينظر: المصدر نفسه ، ج٦/ ص ٣٨٧٦ .

٢ : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ)، تحقيق : أحمد عبد الله القرشي رسلان،(القاهرة / الطبعة: ١٤١٩ هـ) ، ج٧/ ص ٢٧٩ .

٣ : ينظر فتح البيان في مقاصد القرآن ، ج ١٥ / ص ١٧١.

٤ : ينظر: مفاتيح الغيب ، ج ٣١/ ص ١١٥ .

٥ : الفاصلة : يقصد بها (كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع)، البرهان في علوم القرآن ، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ج١/٥٣ .

٦ : غاية الاماني في تفسير الكلام الرباني ، ص ٣٦٦ .

٧ : ينظر: في ظلال القرآن ،ج٣٠ /ص ٣٨٧٦ .

وقد ورد في القرآن الكريم لفظة " يكذبون و لفظة " تكذيب" كما في قوله تعالى : **﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴾** ([1])، **وقال في سورة البروج: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ، وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾** .

فلماذا اختصت الأولى بقوله: (يكذِّبون، والثانية بقوله: (في تكذيب) ؟

إنّ قوله: يكذبون وهم في تكذيب بمعنى واحد، واختلف اللفظان لاختلاف الفواصل في السورتين، فالأولى جاء قبلها : (فما لهم لا يؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون بل الذين كفروا يكذبون)([2])، وكانت الفواصل التي تقدّمتها على (يفعلون) ، فجعلت هذه تابعة لها مع صحة المعنى واللفظ، والثانية في فواصل مردفة بياء أو واو وهي في قوله تعالى : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠) ﴾

١- صحة اللفظ و جودة المعنى ([3]).

٢- لماذا اختصت الأولى بقوله: " يكذبون " بلفظ المضارع والثانية بقوله: (في تكذيب) بلفظ المصدر مع اتحاد المعنى المقصود؟

إن آية الانشقاق تقدمها وعيد آخراوي كله لم يقع بعد وهم مكذبون بجميعه، فجئ هنا باللفظ المقول على الاستقبال – وإن كان يصلح للحال – ليطابق الإخبار؛ لأنه عما يأتى ولم يقع بعد، فجئ بما يطابقه في استقباله، فأما آية البروج فقد تقدمها قوله تعالى: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ)، وحديث هؤلاء وأخذهم بتكذيبهم قد تقدم ومضى زمانه، وهؤلاء مستمرون على تكذيبهم فقيل: (في تكذيب)، وجئ بالمصدر ليحرز تماديهم، وأن ذلك شأنهم أبداً فيما أخبرهم به وفيما يدعوهم إليه وينهاهم عنه، ولفظ المصدر أعطى لما قصد من هذا من لفظ المضارع، فجئ في كل من الآيتين بما يناسب ([4])

٣-ومعنى الاضراب: أن أمرهم أعجب من أمر أولئك، لأنهم سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم، ورأوا آثار هلاكهم ولم يعتبروا، وكذبوا أشد من تكذيبهم ([5])

---

١ : سورة الانشقاق : الآية ٢٣ .

٢ : سورة الانشقاق : الآية ٢٠- ٢٣ .

٣: ينظر : درة التنزيل وغرة التأويل، أبو عبد الله الأصبهاني(ت: ٤٢٠هـ)، تحقيق: د. محمد مصطفى آيدين، ط١، ط١، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م)، ج١/ص ١٣٥٣ - ١٣٥٤؛ و البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه الحجة والبيان ،ص ٢٤٨ .

٤:ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت: ٧٠٨هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، ، دار الكتب العلمية(بيروت)، ج٢/ ص ٥٠٥ .

٥: ج٤/ ٧٣٣

" وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ " **من دلائل لفظة "محيط" ؟**

الاحاطة تطلق على :

- الإحاطة التي تكون في الأجسام نحو أحطت بمكان كذا أو تستعمل في الحفظ نحو: ﴿ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴾(١) أي حافظ له من جميع جهاته .
- وتستعمل في المنع نحو: ﴿ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ﴾ (٢) أي إلا أن تمنعوا .
- وتستعمل في العلم نحو قوله: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾(٣) وقوله عز وجل : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** ﴾(٤) وقوله: ﴿ **إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** ﴾(٥) والاحاطة بالشيء علما هي أن تعلم وجوده وجنسه وكيفيته وغرضه المقصود به وبإيجاده وما يكون به ومنه، وذلك ليس إلا لله تعالى، وقال عز وجل: ﴿ **بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ**﴾ (٦) فنفى ذلك عنهم.
- وتستعمل في القدرة : وقوله عز وجل: (**وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ**) فذلك إحاطة بالقدرة، وكذلك قوله عز وجل (وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها(٧).

أي أن الله تعالى محيط بهم وبفعلهم بعلمه وقدرته ولا يغيب عنه شيء.

- والله تعالى يقدر على أن ينزل بهم ما أنزل بالأقوام السابقة ، والإحاطة بالشيء الحصر له من جميع جوانبه فهو تمثيل لعدم نجاتهم بعدم فوت المحاط به على المحيط (٨).

–وذكر لفظة "محيط " للدلالة على ثبوت هذا المعنى ولزومه فعبَّر عنه تعالى بالجملة الاسمية دون الفعلية لما فيها من دلالة على معنى الثبوت والدوام، فإحاطته سبحانه بهم ثابتة، وعذابه لهم واقع لا محالة ولا مَدْفَع لهم منه في الدنيا، والآخرة؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ *فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ *بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ * وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾ (٩).

---

١ : سورة فصلت : الآية ٥٤ .

٢ : سورة يوسف : من الآية ٦٦ .

٣ : سورة الطلاق : الآية ١٢ .

٤ : سورة آل عمران : من الآية ١٢٠ .

٥ : سورة هود : من الآية ٩٢ .

٦ : سورة يونس: من الآية ٣٩ .

٧: ينظر :الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت: ١٤١٤هـ)، مؤسسة سجل العرب (١٤٠٥ هـ) ، ج٨/ ص ١٥٤ ؛ و المفردات في غريب القران ، ص ٢٦٥– ٢٦٦.

٨ :ينظر : فتح البيان في مقاصد القرآن ج١٥/ ص ١٧١ .

٩: الاعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم ،إعداد : علي بن نايف الشحوذ ، ج١/ ص ١٨١ .

بل هذا الذي كذبوا به قُرْآنٌ مَجِيدٌ شريف عالي الطبقة في الكتب وفي نظمه وإعجازه. وقرئ: "قرآن مجيد "، بالإضافة، أى: قرآن رب مجيد[١]، وقرأ يحيى بن يعمر: في لوح يعنى: اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح مَحْفُوظٍ من وصول الشياطين إليه. وقرئ: محفوظ، بالرفع صفة القرآن ([٢]).

المطلب السابع :

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾

" بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ " : المجد السعة في الكرم والجلال، وقد قال تعالى : ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ ([٣]) فوصفه بذلك لكثرة ما يتضمن من المكارم الدنيوية والأخروية، وعلى هذا وصفه بالكريم بقوله : (إنه لقرآن كريم) وعلى نحوه ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴾ وقوله ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴾ فوصفه بذلك لسعة فيضه وكثرة جوده، وقرئ (مجيد) بالكسر فلجلالته وعظم قدره، والتمجيد من العبد لله بالقول وذكر الصفات الحسنة، ومن الله للعبد بإعطائه الفضل([٤]).

المجيد هو العظيم وهو الكريم وهو الرفيع العالي ، وهو من صفات الباري جل وعلا .

أما اللوح : هو مستودع مشيئات الله تعالى، وقال أبو إسحق: القرآن في لوح محفوظ، وهو أم الكتاب عند الله (عز وجل)، وقيل: هو في الهواء فوق السماء السابعة، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وهو من درة بيضاء. قاله ابن عباس (رضي الله عنهما) وقوله تعالى:" مَّحْفُوظٍ " يعني: مُصَانٌ، لا يمكن للشياطين أن تتنزَّل بشيء منه، أو تغيِّر منه شيئًا "([٥]).

وقد جاء عن البقاعي (رحمه الله) في تناسب ختام الآية مع بدايتها قوله : (أن البروج محفوظة في لوح السماء المحفوظ، بل القرآن بذلك أولى لأنه صفة الخالق في بيان وصفه لما خلق على الوجه الأتم الأعدل ؛ لأنه ترجمة ما أوجده الله سبحانه في الوجود، فصح قطعاً أنه لا بد أن يصدق في كل ما أخبر به، ومن أعظمه أنه سبحانه يحشر الناس للدينونة بالثواب والعقاب كما دان من كذب أولياءه بمثل ذلك فأخذ أعداءه وأنجى أولياءه، فرجع الختام منها على المبتدأ، وتعانق الافتتاح

---

١ : ينظر: النشر في القراءات العشر ، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : ٨٣٣ هـ) ، تحقيق : علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ) ، المطبعة التجارية الكبرى ، ج٣٩٩/٢ .

٢: ينظر: الحجة في القراءات السبع ، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق : د. عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق – بيروت ، ط ٤، (١٤٠١ هـ) ، ص ٣٦٨، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، ج٤/ص ٧٣٣ .

٣ : سورة ق : الآية ١

٤ : ينظر: المفردات في غريب القرآن ، ص ٧٦١ .

٥ : ينظر: الاعجاز اللغوي البياني ، ص ١٢٩

بالمنتهى، فاقتضى ذلك تنزيه المتكلم به عن أن يترك شيئاً فضلاً عن الأنفس بغير حفظ وعن كل ما لا يليق، وإثبات الكمالات له والأكمليات بكل طريق – والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وإليه المهرب والمتاب)([1]).

[1] : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ج٢١/ ص ٣٦٨ – ٣٦٩ .

الخاتمة:

بعد كتابة هذا البحث لابد أن أسلط الضوء على بعض الأمور منها :

١- سورة البروج اثنتان وعشرين آية ،وهي من السور المكية ، وقد جاء في فضلها :أن الرسول (ﷺ) كان يقرأ في العشاء بها وفي رواية أخرى كان يقرأ في الظهر والعصر بها .

٢- من أغراض هذه السورة أنها جاءت لتحكي قصة قوم ضحوا بأرواحهم في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى، فكانوا قدوة لمن جاء بعدهم ، وبيان أن الله تعالى ناصر لعباده المؤمنين ولو بعد حين، كما فيها تهديد للطغاة والظالمين على مر الايام والعصور ، وابلاغهم بأن قوة الله تعالى هي الغالبة وهي المنتصرة .

٣- سميت هذه السورة بالبروج ؛ لأن بروج السماء ذكرت في أول السورة ، ولكن من تعمق في المعنى سوف يجد أن في التسمية تشبيه للمؤمنين الذين أحرقوا في النار بالبروج ؛ لأن تضحيتهم عظيمة وقصتهم خالدة عبر العصور؛ فكانوا ومازالوا كالنجوم في سماء الدنيا والاخرة .

٤- هذه السورة مكونة من ستة مقاطع وكل مقطع له عنوان خاص به بحسب معاني الآيات التي يتضمنها ،ونلاحظ أن هناك تماثلا بين المقطع الثاني والمقطع الخامس في الفاصلة، وبقية المقاطع قد تتحد آياتها في الفاصلة وقد تختلف فيما بينها .

٥- تمتاز هذه السورة بأن كل لفظة فيها ذات دلائل بيانية مثل : لفظة: قعود ، فتنوا ، وقود ، وغيرها من الالفاظ .

٦- تكرر في السورة بعض الالفاظ مثل : مشهود ، شهود ، شهيد ، وتكرر بعض الصفات مثل : صفة المجيد مثل : العرش المجيد ، قرآن مجيد .

٧- هناك الكثير من الظواهر البيانية في السورة منها : القسم بالواو مع العطف ، تأكيد المدح بما يشبه الذم ، الاظهار في موضع الاضمار ، المقابلة بين عذاب الكافرين ونعيم المؤمنين ، استخدام الاسم والمصدر بدل الفعل للدلالة على الدوام والاستمرار ، مجيء ضمير الفصل واللام للتوكيد ، استخدام اسلوب البشارة ولكن بهيئة التهديد والانذار وغيرها من الظواهر .

٨- التناسق بين بداية السورة والخاتمة وذلك بأن القران محفوظ في اللوح كما ان البروج محفوظة في السماء وبأن القرآن الكريم هو المرجع في بيان عاقبة الظالمين والصالحين؛ لأنه قول رب العالمين الذي بيده السماء ببروجها ويوم القيامة وما فيها من شاهد ومشهود ، فدل ذلك على حسن الابتداء وحسن الختام

المصادر والمراجع
بعد القرآن الكريم

الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب(١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م) .

١. الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، ط٢، دار السلام للطباعة والنشر (القاهرة / ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م).

٢. أسرار ترتيب سور القران، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : رضى فرج الهمامي ،المكتبة العصرية (صيدا- بيروت / ١٤٣٢هـ / ٢٠١١ م) .

٣. اسئلة بيانية في القرآن الكريم ، د. فاضل صالح السامرائي ، ط١، دار ابن كثير (دمشق – بيروت / ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١م).

٤. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، د. عائشة محمد علي عبد الرحمن (ت: ١٤١٩هـ)، ط٣، دار المعارف.

٥. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش(ت ١٤٠٣)،ط٤، دار الإرشاد للشؤون الجامعية – حمص ، (دار اليمامة – دمشق – بيروت) ، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت) (١٤١٥ هـ).

٦. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر (بيروت/ ١٤٢٠ هـ).

٧. البحر المديد البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ)، تحقيق : أحمد عبد الله القرشي رسلان،(القاهرة / الطبعة: ١٤١٩ هـ).

٨. البرهان في علوم القرآن ، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه .

٩. البرهان فى تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم الغرناطي (ت: ٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (المغرب/ ١٤١٠ هـ /١٩٩٠)

١٠.البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت: نحو ٥٠٥هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا ، دار الفضيلة.

١١. البلاغة العربية ،عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت ١٤٢٥هـ) ، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت

١٢.التحرير والتنوير، «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر (تونس/ ١٩٨٤ هـ).

١٢. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د وهبة بن مصطفى الزحيلي ، ط٢ ، دار الفكر المعاصر – دمشق ، ١٤١٨ هـ، ٣٠ / ١٦٣ .

١٣.تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن ، محمد بن عبد الرحمن الإيجي (ت: ٩٠٥هـ) ، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت / ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م).

١٤. الخطاب والقسم في كتاب الله الحَكَم ، د. خضر موسى محمد محمود ، ط١، عالم الكتب (بيروت / ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨ م) .

١٥.السبعة في القراءات ، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت: ٣٢٤هـ) ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف – مصر ، ط٢ ، (١٤٠٠هـ).

١٥. درة التنزيل وغرة التأويل، أبو عبد الله الأصبهاني(ت: ٤٢٠هـ)، تحقيق: د. محمد مصطفى آيدين، ط١، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م).

١٦. سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، دار الكتاب العربي (بيروت).

١٧. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي (مصر / ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م).

١٨.شرح الكافية الشافية ، محمد بن عبد الله جمال الدين(ت: ٦٧٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، ط١،جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة .

١٩.الاعجاز البياني في العدول النحوي السياقي في القرآن الكريم ، عبد الله علي الهتار ، دار الكتاب الثقافي (إربد / ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨ م).

٢٠.علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ).
٢١.غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني ،أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني (ت: ٨٩٣هـ) تحقيق: محمد مصطفي كوكصو ، جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية(تركيا/ ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م) .
٢٢.فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، بعناية : خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر،(صَيدَا – بَيروت/ ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م).
٢٣. المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ) ، صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط١
٢٤.في ظلال القرآن، سيد قطب (ت: ١٣٨٥هـ)، ط١٧ ، دار الشروق (بيروت– القاهرة / ١٤١٢ هـ).
٢٥.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ،أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري(ت: ٥٣٨هـ)، ط٣، دار الكتاب العربي (بيروت/ ١٤٠٧ هـ) .
٢٦.المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي)، أبو عبد الرحمن النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية (حلب/ ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).
٢٧.مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة (١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م).
٢٨.مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله التميمي السمرقندي (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، ط١، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية (١٤١٢ هـ / ٢٠٠٠ م) .
٢٩.معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت / ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م).
٣٠.مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)،أبو عبد الله الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، ط٣، دار إحياء التراث العربي (بيروت/ ١٤٢٠ هـ).

٣١. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق :صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية (دمشق بيروت/ ١٤١٢ هـ).
٣٢. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت: ٧٠٨هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، ، دار الكتب العلمية(بيروت).
٣٣. الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت: ١٤١٤هـ)، مؤسسة سجل العرب.
٣٤. النشر في القراءات العشر ، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : ٨٣٣ هـ) ، المطبعة التجارية الكبرى.
٣٥. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي(القاهرة).